جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

جلاء الأفهام
عما نسب لنبي الله عيسى (عليه السلام)

إعداد الدكتور

شريف سعيد محروس تركي

المدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

ملخص البحث

(جلاء الأفهام عما نسب لنبي الله عيسى (عليه السلام))

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا. وَأَشْهَدُ أَنَّ نبينا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وصحبه وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

فإن هذا البحث قد اشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، فقد جاء التمهيد ليتناول: تحديد مفاهيم عنوان البحث، وجاء المبحث الأول ليتناول التأصيل التاريخي لنسب نبي الله عيسى (عليه السلام) وكذا ولادته ونشأته، وجاء المبحث الثاني ليتناول الحديث عن دعوة نبي الله عيسى (عليه السلام) لبني إسرائيل وموقفهم منها، وجاء المبحث الثالث ليتناول الذب والدفاع عن نبي الله عيسى (عليه السلام) فيما نسب إليه من ادعاء اليهود لقتله وصلبه وبيان بطلان ذلك، وجاء المبحث الرابع ليتناول الذب والدفاع عن نبي الله عيسى (عليه السلام) فيما نسب إليه من ادعاء النصارى لألوهيته وكذلك بنوته لله تعالى وذلك بعد رفعه واختلافهم في هذا وبيان بطلان ذلك، ثم جاءت الخاتمة لتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، ثم بعد ذلك قائمة المصادر والمراجع التي استقى البحث منها مادته، وأخيراً فهرس الموضوعات.

الكلمات الافتتاحية: جلاء الأفهام – عما نسب– لنبي الله عيسى (عليه السلام).

إعداد الدكتور

شريف سعيد محروس محمد تركي

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر

ABSTRACT

(A clear understanding of what was attributed to the Prophet of Allah, Issa, peace be upon him))

Praise Be To Allah, He it is Who has sent His Messenger with guidance and the religion of truth. That He may make it superior to all religions. And All-Sufficient is Allâh as a Witness. And I bear witness that there is no God but Allah, and our Prophet Muhammad is His slave and Messenger. blessing and peace be upon our prophet Mohammed, his family and his companions.

... And thereafter;

This research has included an introduction, a preamble, four topics, and a conclusion.

The preamble was the definition of the concepts of the title of the research, and the first topic was the historical rooting of the lineage of Jesus, as well as his birth and upbringing, and the second topic was the talk about the call of Jesus to the Israelites, and their attitude towards it.

The third topic was the discussion of the false claim of the Jews, killing and crucifixion of Jesus peace be upon him.

The fourth topic, was the defense of Jesus, peace be upon him, and the Christians' claim to his divinity, and that he is the son of God, after his death and their disagree in this.

The conclusion then included the main findings and recommendations.

Then, the list of sources and references from which the research derives its materials, and finally the index of topics

Keywords: Clear understanding - What is attributed - The Prophet of Allah, Issa

Dr. Sherif Said Mahrous Mohamed Turki

Teacher of Da'wa and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wa, Menoufia, Al-Azhar University.

Email: shareefturki.adv@azhar.edueg

المُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا. وَأَشْهَدُ أَنَّ نبينا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وصحبه وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

فمما يعين المرء في طريقه في الدعوة إلى الله تعالى أن يطالع قصص الأنبياء السابقين وتاريخ دعوتهم المباركة لكي يقتفي أثرهم ويسير على نهجهم لأن جميع الأنبياء جاءوا بدين واحد، ودعوتهم تخرج من مشكاة واحدة؛ كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...** ﴾[آل عمران: ١٩]، وكما ورد في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**» [(١)]، ولذلك أمر الله نبيه أن يقتدي بهديهم، فقال وهو أحسن القائلين في محكم التنزيل: ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾** ﴾ [الأنعام: ٩٠]

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي-كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ-بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: {**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا**} [مريم: ١٦] (١٦٧/٤) رقم٣٤٤٣، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

وكذلك في قص أحوالهم وأنبائهم تسلية للرسول (ﷺ) والدعاة من بعده بتثبيت الفؤاد والصبر على الأذى في طريق الدعوة إلى الله تعالى، فقال رب العالمين: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود: ١٢٠].

ومن بين قصص الأنبياء وتاريخ دعوتهم نعيش في هذا البحث مع قصة وتاريخ دعوة نبي الله عيسى (عليه السلام) وتبرئة ساحة هذا النبي الكريم مما نسب إليه زورا وبهتانا، فكانت ولادته وحياته (عليه السلام) من مهده إلى رفعه معجزة إلهية وقدرة ربانية يستبين فيها سبيل المؤمنين من المجرمين، ولذلك كانت نبوة سيدنا عيسى (عليه السلام) لدى كثير من الناس بين طرفي نقيض فغلا فيه أناس وانحرف عن طريق الإيمان به آخرون، فالغالون وصفوه بالألوهية والمنحرفون وصفوه وأمه بالرذيلة والإجرامية، ونجا من ذلك قلة من الناس كانوا هم الحواريون الذين ءامنوا بدعوته ونبوته وأعلنوا إيمانهم وإسلامهم كما قص ربنا في كتابه عن حالهم فقال (جل جلاله): ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٢،٥٣].

وسوف نعيش مع دعوة نبي الله عيسى (عليه السلام) وبيان بطلان ما نسب إليه من الغالين والجافين في هذا البحث الذي اشتمل على: **مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.**

- أما المقدمة فهي ما نحن بصددها.
- وأما التمهيد فقد اشتمل على التعريف بمفردات عنوان البحث.
- وقد جاءت المباحث الأربعة على النحو الآتي:

- **المبحث الأول:** التأصيل التاريخي لنسب نبي الله عيسى (عليه السلام) وولادته ونشأته.
- **المبحث الثاني:** دعوة نبي الله عيسى (عليه السلام) لبني إسرائيل وموقفهم منها.
- **المبحث الثالث:** ادعاء اليهود لقتل نبي الله عيسى (عليه السلام) وصلبه وبطلان ذلك.
- **المبحث الرابع:** ادعاء النصارى ألوهية المسيح (عليه السلام) وبنوته بعد رفعه وبيان بطلان ذلك.
- **وأما الخاتمة** فقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

وإليك أيها القارئ الكريم التمهيد وهذه المباحث الأربعة.

التمهيد

تحديد مفاهيم عنوان البحث

التمهيد

تحديد مفاهيم عنوان البحث

أولا: التعريف بمصطلح (جلاء الأفهام)

١- **تعريف كلمة جلاء في اللغة**، مأخوذة من مادة ج ل ا، فيقال: "(الْجَلِيُّ) ضِدُّ الْخَفِيِّ وَ(الْجَلِيَّةُ) الْخَبَرُ الْيَقِينُ. وَاسْتُعْمِلَ فُلَانٌ عَلَى (الْجَالِيَةِ) أَيْ عَلَى جِزْيَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ. وَ(الْجَلَاءُ) بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ الْأَمْرُ الْجَلِيُّ تَقُولُ مِنْهُ جَلَا لِيَ الْخَبَرُ يَجْلُو (جَلَاءً) أَيْ وَضُحَ. وَ(الْجَلَاءُ) أَيْضًا الْخُرُوجُ مِنَ الْبَلَدِ وَالْإِخْرَاجُ أَيْضًا وَقَدْ (جَلَوْا) عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَ(جَلَاهُمْ) غَيْرُهُمْ يَتَعَدَّى وَيَلْزَمُ. وَبَابُهُمَا كَمَا قَبْلَهُمَا. وَيُقَالُ أَيْضًا: (أَجْلَوْا) عَنِ الْبَلَدِ وَأَجْلَاهُمْ غَيْرُهُمْ يَتَعَدَّى وَيَلْزَمُ.وأَجلوْاْ عنَ القتْيِلِ لاَ غيرْهُ أَيِ انْفَرَجُوا. وَ (جَلَا) أَيْ أَوْضَحَ وَكَشَفَ وَجَلَا بَصَرَهُ بِالْكُحْلِ مِنْ بَابِ عَدَا وَ(جِلَاءً) أَيْضًا بِالْمَدِّ وَالْكَسْرِ وَ(جَلَا) هَمَّهُ عَنْهُ أَذْهَبَهُ وَجَلَا السَّيْفَ أَيْ صَقَلَهُ يَجْلُو (جِلَاءً) فِيهِمَا بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ وَ(جَلَا) الْعَرُوسَ يَجْلُوهَا (جِلَاءً) و(جِلْوَةً) أَيْضًا بِالْكَسْرِ فِيهِمَا وَاجْتَلَاهَا بِمَعْنًى أَيْ نَظَرَ إِلَيْهَا (مَجْلُوَّةً). وَ(الْجِلَاءُ) أَيْضًا كُحْلٌ. وَ(جَلَّى) السَّيْفَ (تَجْلِيَةً) كَشَفَهُ وَ (تَجَلَّى) الشَّيْءُ تَكَشَّفَ وَانْجَلَى عَنْهُ الْهَمُّ انْكَشَفَ."[(١)]

فالمتأمل في هذه المترادفات اللغوية يجد أن كلمة جلاء بالفتح تفيد التوضيح والكشف للأمر الظاهر الذي قد يلتبس على بعض الناس من بعض الملبسين.

٢- **تعريف كلمة الأفهام في اللغة**، مأخوذة من مادة فهم، فيقال: "**فَهِمَ**: الفَهْم

(١) مختار الصحاح- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) (١/ ٦٠) الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

والفَهَم: علمُ معنى الشيء، يقال: رجل فهم، ولا يجوز أن يوصف به اللّه تعالى فيقال: يفهم، كما يقال: يعلم، لأن الفهم حصول العلم ببعض المعلومات بعد إذ لم يكن، واللّاه تعالى عالمٌ لم يزل....، **الإفهام:** أفهمه الكلامَ فَفَهِم، **التفهيم:** فَهَّمَهُ الكلامَ فَفَهِمَهُ"(١).

ويقال: "**(الْفَهم) هو:** حسن تصور الْمَعْنى وجودة استعداد الذِّهْن للاستنباط **(الجمع)** أفهام وفهوم"(٢)، وقيل: "الفهم: بفتح فسكون مصدر فهم، جمعه أفهام وفهوم، تصور المعنى من لفظ المتكلم أو من عبارة الكتاب"(٣).

فالمتأمل في هذه المعاني اللغوية لكلمة الأفهام يجد أنها جمع لكلمة الفهم وهي مصدر للفعل فهم، وهي تدل على تصور معنى الشيء والعلم به من المتكلم أو من المكتوب على العموم.

وعلى هذا فمن الممكن(٤) تعريف مصطلح (جلاء الأفهام) بأنه: توضيح الأمر وإظهاره من المسموع أو المكتوب لحسن تصوره والعلم به بعيدا عن اللبس والغموض.

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم- نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) (٨/٥٢٧٠،٥٢٦٩) الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) (٢/٧٠٤) الناشر: دار الدعوة.

(٣) معجم لغة الفقهاء- محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي (١/٣٥٠) الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بتصرف يسير.

(٤) بعد البحث والتنقيب في كتب اللغة وغيرها لم أعثر على تعريف لمصطلح (جلاء الأفهام) جملة، بينما وجدت تعريف كل كلمة على حدة كما ذكرت سابقا، ولكني اجتهدت قدر وسعي - بتوفيق من الله- في هذا التعريف، والله أعلم.

ثانيا: التعريف بمصطلح (عما نسب)

١- **كلمة(عمّا)**: "[كلمة وظيفيَّة]: كلمة مركَّبة من حرف الجرّ (عن)، و (ما) الزائدة حيث تدغم النون في الميم ويُجرّ الاسم بعدها أمَّا إذا كانت (ما) اسمًا موصولاً فتكتب منفصلة عن حرف الجرّ قبلها، مثل: سألت عن ما قلته، **{عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ}**"[(١)].

٢- **كلمة (نُسب)**: فعل مبني للمجهول من الفعل نسب فيقال: "(نَسَبَ) النُّونُ وَالسِّينُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ قِيَاسُهَا اتِّصَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. مِنْهُ النَّسَبُ، سُمِّيَ لِاتِّصَالِهِ وَلِلِاتِّصَالِ بِهِ. تَقُولُ: نَسَبْتُ أَنْسُبُ. وَهُوَ نَسِيبُ فُلَانٍ. وَمِنْهُ النَّسِيبُ فِي الشِّعْرِ إِلَى الْمَرْأَةِ، كَأَنَّهُ ذِكْرٌ يَتَّصِلُ بِهَا؛ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي النِّسَاءِ. تَقُولُ مِنْهُ: نَسَبْتُ أَنْسِبُ. **وَالنَّسِيبُ**: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، لِاتِّصَالِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ"[(٢)].

فالمتأمل في هذه المشتقات اللغوية للفعل نسب يجد أنه يدل على اتصال الشيء بالشيء، وعلى هذا فيكون نُسب أي اتُصل به من غيره ووصف به، وعلى هذا فيكون مصطلح (عما نسب) أي: عما اتُصف به ونسب إليه من غيره.

ثالثا: التعريف بمصطلح(نبي الله عيسى (عليه السلام))

التعريف بالنبي هو: "من أوحي إليه وحيا خاصا من الله بتوسط ملك أو بإلهام في قلبه، أو بالرؤيا الصالحة، وقد ختمت النبوة وانقطع الوحي بخاتم الأنبياء محمد (ﷺ)، فالرسول أخص منه لأن الرسول هو من أوحي إليه بالرسالة، وأمر

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة- د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، (١٥٥٨/٢) الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) (٤٢٣،٤٢٤/٥) الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

بتبليغها".[١]

وقد ذكر أهل العلم فروقا بين النبي والرسول، أذكر منها على سبيل المثال– لا الحصر– ما أورده القاضي ابن أبي العز الحنفي[٢]، قائلا: "وَقَدْ ذَكَرُوا فُرُوقًا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، وَأَحْسَنُهَا. أَنَّ مَنْ نَبَّأَهُ اللَّهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ، إنْ أَمَرَهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ. فَالرَّسُولُ أَخَصُّ مِنَ النَّبِيِّ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا، وَلَكِنَّ الرِّسَالَةَ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهَا، فَالنُّبُوَّةُ جُزْءٌ مِنَ الرِّسَالَةِ، إذِ الرِّسَالَةُ تَتَنَاوَلُ النُّبُوَّةَ وَغَيْرَهَا، بِخِلَافِ الرُّسُلِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَتَنَاوَلُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَغَيْرَهُمْ، بَلِ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ. فَالرِّسَالَةُ أَعَمُّ مِنْ جهةِ نَفسَهْا، وَأَخَصُّ مِنْ جِهَةِ أَهْلِهَا"[٣].

وعلى هذا فالمقصود بالنبي هنا هو النبي الرسول، لأن عيسى (عليه السلام) هو نبي رسول بل من أولي العزم من الرسل.

---

(١) معجم لغة الفقهاء– محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي (١/ ٤٧٤).

(٢) ابن أَبي العِزّ: هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقيّ: فقيه. كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق. وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيبك الدمشقيّ. له كتب، منها "التنبيه على مشكلات الهداية"، و"النور اللامع فيما يعمل به في الجامع" أي جامع بني أمية، مولده ووفاته (٧٣١ – ٧٩٢هـ = ١٣٣١ – ١٣٩٠م) (الأعلام– خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) (٤ /٣١٣) الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية– صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) (١/ ١٥٥) الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

وأما التعريف بعيسى (عليه السلام) فسيأتي ذكره في المبحث الأول المعنون له بـ (التأصيل التاريخي لنسب عيسى (عليه السلام) وولادته ونشأته).

وبهذا أكون قد انتهيت من الوقوف على تحديد مفاهيم عنوان البحث، مما يجعلني أن أذكره إجمالا بأنه: إظهار الأمر وإيضاحه من اللبس والغموض عن المنسوب والموصوف به نبي الله عيسى (عليه السلام).

وبعد هذا التمهيد إليك أيها القارئ الكريم المبحث الأول من المباحث الأربعة التي يقوم عليها البحث.

المبحث الأول

التأصيل التاريخي لنسب نبي الله عيسى (عليه السلام) وولادته ونشأته

التأصيل التاريخي لنسب نبي الله عيسى (عليه السلام) وولادته ونشأته

قبل أن أكتب عن نبي الله عيسى (عليه السلام)، ينبغي أن أكتب عن نسبه من ناحية أمه لأن ولادته كانت إعجازًا عظيما لتكتمل منظومة الخلق بأنواعها الأربعة حيث أن خلق آدم (عليه السلام) كان بدون ذكر وأنثى، وحواء خلقت من ضلع آدم أي من ذكر دون أنثى، وبقية الخلق من ذكر وأنثى، وخَلْق عيسى (عليه السلام) كان من أنثى دون ذكر، لذلك نَسُبُ عيسى (عليه السلام) كان من ناحية أمه، فما هو نسبه؟

نَسَبُ عيسى (عليه السلام):

هو عيسى ابن مريم بنت عمران الذي ذكاه ربه واصطفاه على العالمين كما قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣،٣٤].

قال الحافظ ابن كثير: "يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ اصْطَفَى آدَمَ (عليه السلام) وَالْخُلَّصَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْمُتَّبِعِينَ شَرْعَهُ الْمُلَازِمِينَ طَاعَتَهُ، ثُمَّ خَصَّصَ فَقَالَ: "وَآلَ إِبْرَاهِيمَ"فَدَخَلَ فِيهِمْ بَنو إِسْمَاعِيل ثُمَّ ذَكَرَ فَضْلَ هَذَا الْبَيْتِ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ وَهُمْ آلُ عِمْرَانَ، وَالْمُرَادُ بِعِمْرَانَ هَذَا وَالِدُ مَرْيَم (عليها السلام). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَهُوَ عِمْرَانُ بْنُ بَاشِمَ بن أمون بن مِيشَا ابْن حزقيا بن أحريق بن موثم بن عزازيا بن أمصيا بن ياوش بن احريهو بن يازم بن يهفاشاط بن إيشا بن إيان بن رحبعام بْنِ دَاوُدَ. وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ: مَرْيَم بنت عمرَان بن مَا ثَان بن العازر ابْن اليود بن أخنز بن صادوق بن عيازوز بن الياقيم بن أيبود بن زربابيل ابْن شالتال بن يوحينا بن برشا بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحاز بن موثام بن عزريا بن يوارم بن يوشافاط بن إيشا بن إيبا بن رحبعام بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ (عليه السلام). وفِيهِ مُخَالَفَةٌ لِمَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ.

وَلَا خلاف أَنَّهَا من سلالة دَاوُد (ﷺ) وَكَانَ أَبوهَا عمرَان صَاحب صَلَاةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَتْ أُمُّهَا وَهِيَ حَنَّةُ بِنْتُ فَاقُودَ بْنِ قُبَيْلَ مِنَ الْعَابِدَاتِ، وَكَانَ زَكَرِيَّا نَبِيُّ ذَلِكَ الزَّمَانِ زَوْجَ أُخْتِ مَرْيَمَ أَشْيَاعَ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ وَقِيلَ زَوْجُ خَالَتِهَا أَشْيَاعَ فَاللَّهُ أَعْلَمُ."[1]

فهذا هو نسب عيسى من ناحية أمه وهي من سلالة المصطفين الأخيار يعود نسبها إلى نبي الله داود (عليه السلام)، بخلاف ما ذكره النصارى في أناجيلهم من أن نسب عيسى جعلوه متصلا بيوسف النجار الذي جعلوه زوج أمه، ومعلوم أن مريم لم تتزوج.

فقد ورد في بداية إنجيل متى في الإصحاح الأول من الفقرة (١-١٧): "نسب يسوع المسيح، (١) كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ اَلْمَسِيحِ اَبْنِ دَاوُدَ اَبْنِ إِبْرَاهِيمَ. (٢) إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحاقَ. وَإِسْحاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. (٣) وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ. (٤) وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ. وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ. (٥) وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. (٦) وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ اَلْمَلِكَ. وَدَاوُدُ اَلْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ اَلَّتِي لأُورِيَّا. (٧) وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. (٨) وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. (٩) وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حَزَقِيَّا. (١٠) وَحَزَقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. (١١) وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. (١٢) وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِيئِيلَ. وَشَأَلْتِيئِيلُ

(١) قصص الأنبياء- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)(٣٦٨/٢، ٣٦٩) - الناشر: مطبعة دار التأليف - القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. (١٣) وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. (١٤) وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. (١٥) وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. (١٦) وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ اَلَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ اَلَّذِي يُدْعَى اَلْمَسِيحَ. (١٧) فَجَمِيعُ اَلأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى اَلْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً."[1]

فالمتأمل في هذا النسب يجد التخبط، فهل مريم تزوجت؟ ثم ما علاقة نسب يوسف النجار بنسب يسوع المسيح (عليه السلام) فنجد الخلط والتخبط في ذلك، فكان الأولى على صاحب الإنجيل أن يقول نسب يوسف النجار ولم يقل نسب يسوع المسيح؛ لأن نسب عيسى من ناحية أمه وهي لم تتزوج، وكذلك عندهم أنها حبلى من الروح القدس – وهذا يأتي معنا بعد قليل في ولادته –، فكيف نخلط في النسب، وأمه معروفة بالطهر والعفاف، ولذلك يطيب لي أن أذكر شيئا عن ولادتها قبل ولادته.

❁ ولادة مريم (رضي الله عنها):

يقص علينا القرآن شيئا من طرف ولادتها من حيث كونها جنينا في بطن أمها وهي لا تدري ما نوعه ولكنها نذرته لله و تسأل الله أن يتقبله منها، فقال ربنا على لسانها: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

(١) الكتاب المقدس – العهد الجديد (ص١)، الناشر دار الكتاب المقدس بمصر: الإصدار الرابع /الطبعة السابعة ٢٠١١م.

وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٥: ٣٧].

فيُحكى: أَنَّ أُمَّ مَرْيَمَ كَانَتْ لاَ تَحْبَلُ فرَأَتْ يَوْمًا طَائِرًا يَزُقُّ[1] فَرْخًا لَهُ فَاشْتَهَتِ الْوَلَدَ فَنَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ حَمَلَتْ لَتَجْعَلَنَّ وَلَدَهَا مُحَرَّرًا أَيْ حَبِيسًا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

قَالُوا: فَحَاضَتْ مِنْ فَوْرِهَا فَلَمَّا طَهُرَتْ وَاقَعَهَا بَعْلُهَا فَحَمَلَتْ بِمَرْيَمَ (ﷺ) "فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَالله أعلم بِمَا وضعت"وَقُرِئَ بِضَم التَّاء"وَلَيْسَ الذّكر كالانثى "أَيْ فِي خِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانُوا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَنْذِرُونَ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ خُدَّامًا مِنْ أَوْلَادهم. وَقَوْلها: "وَإِنِّي سميتها مَرْيَم"اسْتُدِلَّ بِهِ علَى تَسْمِيةِ الْمَوْلُود يوْمَ يولَدُ، وكَمَا ثبَتَ في الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ فِي ذَهَابِهِ بِأَخِيهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَحَنَّكَ[2] أَخَاهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ[3]،....، وَقَوْلُهَا: "وَإِنِّي أُعِيذُهَا

---

(١) الزَّقّ: مَصْدَرُ زَقَّ الطائرُ الفَرخَ يزُقُّه زَقّاً وزَقْزَقَه غَرّه، وزَقَّه: أَطعمه بفِيه (لسان العرب- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) (١٠/ ١٤٣) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

(٢) حنك وَقَالَ [أَبُو عبيد –]: فِي حَدِيث النَّبِي (ﷺ) أَنه كَانَ يُحَنِّك أَوْلَاد الْأَنْصَار. قَالَ اليزيدي: التحنيك أَن يمضغ التَّمْر ثُمَّ يدلكه بحنك الصَّبِي دَاخل فَمه يُقَال مِنْهُ: حَنَكْتُه وحَنَّكْتُه – بتَخْفِيف وَتَشْديد – فَهُوَ محنوك ومحنك. (غريب الحديث- أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) (١/ ١٧٠) الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن،الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كِتَابُ العَقِيقَةِ- بَابُ تَسْمِيَةِ المَوْلُودِ غَدَاةَ يُولَدُ، لِمَنْ لَمْ يَعُقَّ عَنْهُ، وَتَحْنِيكِهِ (٧/ ٨٤) رقم ٥٤٧٠ – الناشر: دار طوق النجاة – الطبعة:=

بك وذريتها من الشَّيْطَان الرَّجِيم"قد اسْتُجِيبَ لَهَا فِي هَذَا كَمَا تُقُبِّلَ مِنْهَا نَذْرُهَا، فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَان إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا"ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ"وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا من الشَّيْطَان الرَّجِيم"[1]....، وَقَوْلُهُ: "فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زَكَرِيَّا"ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ أُمَّهَا حِينَ وَضَعَتْهَا لَفَّتْهَا فِي خُرُوقِهَا ثُمَّ خَرَجَتْ بِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَسَلَّمَتْهَا إِلَى الْعُبَّادِ الَّذِينَ هُمْ مُقِيمُونَ بِهِ، وَكَانَتِ ابْنَةَ إِمَامِهِمْ وَصَاحِبِ صَلَاتِهِمْ فَتَنَازَعُوا فِيهَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا إِنَّمَا سَلَّمَتْهَا إِلَيْهِمْ بَعْدَ رَضَاعِهَا وَكَفَالَةِ مِثْلِهَا فِي صِغَرِهَا.

ثُمَّ لَمَّا دَفَعَتْهَا إِلَيْهِمْ تَنَازَعُوا فِي أَيِّهِمْ يَكْفُلُهَا، وَكَانَ زَكَرِيَّا نَبِيّهم فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَبِدَّ بِهَا دونهم من أجل زَوْجَتَهُ أُخْتُهَا أَوْ خَالَتُهَا عَلَى الْقَوْلَيْنِ.

فَشَاحُّوهُ فِي ذَلِكَ وَطَلَبُوا أَنْ يَقْتَرِعَ مَعَهُمْ، فَسَاعَدَتْهُ الْمَقَادِيرُ فَخَرَجَتْ قُرْعَتُهُ غَالِبَةً لَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَالَةَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**" أَيْ بِسَبَبِ غَلَبِهِ لَهُمْ فِي الْقُرْعَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ **ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾** ﴾ [آل عمران: ٤٤].

قَالُوا: وَذَلِكَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ أَلْقَى قَلَمَهُ مَعْرُوفًا بِهِ، ثُمَّ حَمَلُوهَا وَوَضَعُوهَا فِي

=الأولى، ١٤٢٢هـ، و أخرجه الإمام مسلم في صحيحه- كتاب الآداب- باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته(٣/ ١٦٨٩) رقم ٢١٤٤- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ- بَابُ: {**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**} [آل عمران: ٣٦](٦/ ٣٤) رقم ٤٥٤٨.

مَوْضِعٍ وَأَمَرُوا غُلَامًا لَمْ يَبْلُغِ الْحِنْثَ فَأَخْرَجَ وَاحِدًا مِنْهَا وَظَهَرَ قَلَمُ زَكَرِيَّا (عليه السلام).

فَطَلَبُوا أَنْ يَقْتَرِعُوا مَرَّةً ثَانِيَةً وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِأَنْ يُلْقُوا أَقْلَامَهُمْ فِي النَّهْرِ فَأَيُّهُمْ جَرَى قَلَمُهُ عَلَى خِلَافِ جَرْيَةِ الْمَاءِ فَهُوَ الْغَالِبُ فَفَعَلُوا فَكَانَ قَلَمُ زَكَرِيَّا هُوَ الَّذِي جَرَى عَلَى خِلَافِ جَرْيَةِ الْمَاءِ، وَسَارَتْ أَقْلَامُهُمْ مَعَ الْمَاءِ ثُمَّ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَقْتَرِعُوا ثَالِثَةً فَأَيهمْ جرى قلمه مَعَ المَاء وَيكون بَقِيَّةُ الْأَقْلَامِ قَدِ انْعَكَسَ سَيْرُهَا صُعُدًا فَهُوَ الْغَالِبُ ففَعَلُوا فكَانَ زَكَرِيَّا هُوَ الْغَالِبَ لَهُمْ فكَفَلَهَا إِذْ كَانَ أَحَقَّ بِهَا شَرْعًا وَقَدَرًا لِوُجُوهٍ عَدِيدَةٍ....

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ: يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا، قَالَتْ:هُوَ منْ عندِ اللهَّ ِإنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب**"

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: اتَّخَذَ لَهَا زَكَرِيَّا مَكَانًا شَرِيفًا مِنَ الْمَسْجِدِ لَا يَدْخُلُهُ سِوَاهَا، فَكَانَتْ تَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ وَتَقُومُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهَا مِنْ سدانة الْبَيْتِ إِذَا جَاءَتْ نَوْبَتُهَا وَتَقُومُ بِالْعِبَادَةِ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا، حَتَّى صَارَتْ يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ بِعِبَادَتِهَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاشْتَهَرَتْ بِمَا ظَهَرَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْكَرِيمَةِ وَالصِّفَاتِ الشَّرِيفَةِ حَتَّى إِنَّهُ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا مَوْضِعَ عِبَادَتِهَا يَجِدُ عِنْدَهَا رِزْقًا غَرِيبًا فِي غَيْرِ أَوَانِهِ، فَكَانَ يَجِدُ عِنْهَا َ فاكِهةُ َالصَّيفِ في الشِّتاءِ وفاَكِهةَ الشِّتاءِ في الصَّيْفِ فَيَسْأَلُهَا"أَنى لَك هَذَا"

فَتَقول "هُوَ من عِنْد الله" أَيْ رِزْقٌ رَزَقَنِيهِ اللَّهُ "إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب".(١)

فهذه قصة ولادتها وعبادتها وهي مقدمة لولادة نبي الله عيسى (عليه السلام) حتى يُرد على هؤلاء الجافين فيقال لهم: أبعد هذا الطهر والعفاف تكون مريم باغية والعياذ بالله؟!!!، أعاذها الله من ذلك.

---

(١) قصص الأنبياء– للحافظ ابن كثير (٢/ ٣٦٩: ٣٧٣). بتصرف يسير.

❁ ولادة نبي الله عيسى (عليه السلام)

يقص علينا القرآن الكريم قصة ولادة نبي الله عيسى (عليه السلام) التي تعد من أعظم المعجزات في بابها لتكتمل منظومة الخلق بأنواعها الأربعة حيث كانت ولادته من أم دون أب، ولذلك تعجبت أمه وقالت أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر؟ فكان الجواب إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، ولم تتوقف قدرة الله ومعجزة الله عند هذا الحد بل كانت طفولته أيضا معجزة بليغة حيث أنه تكلم في مهده وهو طفل رضيع على غير العادة والمألوف، وكأن ذلك رد على المفترين الجافين الذين وصفوه بأنه ولد زنا، فكأنه يقول لهم إن كنتم تتهمون أمي بالفاحشة والبغاء وتنكرون قدرة خالق الأرض والسماء، فبماذا تردون على كلام رضيع في لفافة الخرقاء؟!!، ألا يعد هذا من أفحش الغباء؟ ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

فحكى الله رب العالمين طرفا من ذلك الحوار الذي دار بين مريم وجبريل (عليه السلام) وكذلك بين مريم وقومها وبين عيسى (عليه السلام) وبين قومه من بني إسرائيل فقال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ❁ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ

صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [مريم ١٦: ٣٦].

والمتأمل في هذه الآيات يجد أنها تبين وتوضح الحقائق التالية:

١- أن الله أكرم مريم، وفضلها على نساء العالمين، وخاطبها جبريل في صورة بشر، ولعفتها استعاذت بالله منه.

٢- أن جبريل طمأنها أنه رسول الله إليها ليبشرها بغلام مصطفى من الله رب العالمين من غير أب وأنها أما لعيسى (عليه السلام).

٣- قدرة الله لا تعجزها شيء حيث أكرم مريم وولدها بمعجزات خارقة منذ نشأتها ونشأته (عليه السلام).

٤- تكلم عيسى (عليه السلام) في المهد وهو طفل رضيع ليرد على بني إسرائيل ويثبت براءة أمه من أي نوع من أنواع الاتهام.

٥- تكلم عيسى (عليه السلام) وهو في المهد ليبين للناس أنه رسول رب العالمين وهو نبي مصطفى.

٦- تكلم عيسى (عليه السلام) وهو في المهد ليبين للناس أن الله أنزل عليه الكتاب فيه شرعهم وما يحتاج الناس إليه من صلاة وزكاة وبر بالوالدين، والرحمة واللين وعدم الجبروت والقسوة.

٧- فيه هذه الآيات رد على من غالى في ميلاد عيسى مدعيا أنه ابن الله، وأن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

وبعد هذا الحادث المعجز، وكذلك بعد رفعه إلى السماء اختلف الناس حول شخصية نبي الله عيسى (عليه السلام) فتعددت آراؤهم واختلفت عقائدهم على ما سيأتي بيانه -بإذن الله تعالى - في المبحث الرابع.

وأذكر أيضا ما جاء في العهد الجديد عن قصة ولادته لنرى الفرق الكبير بين ما جاء في القرآن وبين العهد الجديد، فقد ورد في إنجيل متى في الإصحاح الأول من الفقرة (١٨-٢١): "(١٨) أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. (١٩) فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارّاً وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرّاً. (٢٠) وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الأُمُورِ إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. (٢١) فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ."[(١)]

فالمتأمل في ذلك يجد الخبط أيضا، فإنهم نسبوا لمريم أن يوسف خطبها ثم وجدها حبلى وخاف أن يأخذها، وأنها حملت من الروح القدس، وأنه يخلص شعبه من خطاياهم، وهذا كله لو تأملناه مع ما ورد في القرآن نجد التكريم الواضح لمريم وابنها كما مر معنا في الآيات السابقة.

وبعد ولادة المسيح (عليه السلام) كانت نشأته المباركة، فما هي نشأته (عليه السلام)؟

(١) الكتاب المقدس – العهد الجديد (ص١).

❁ نشأة نبي الله عيسى (عليه السلام):

يقص علينا القرآن الكريم طرفا من هذه النشأة كما ورد في هذه الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

فيقول الإمام أبو حيان معلقا على ذلك: "وجعلنا ابن مريم وأمه أي قصتهما وهي آية عظمى بمجموعها وهي آيات مع التفصيل، ويحتمل أن يكون حذف من الأول آية لدلالة الثاني أي وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية. والربوة هنا. قال ابن عباس وابن المسيب: الْغُوطَةُ بدمشق، وصفتها أنها ذات قرار ومعين على الكمال. وقال أبو هريرة: رَمْلَةُ فلسطين. وقال قتادة وكعب: بيت المقدس، وزعم أن في التوراة إن بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء، وأنه يزيد على أعلى الأرض ثمانية عشر ميلا. وقال ابن زيد ووهب: الربوة بأرض مصر، وسبب هذا الإيواء أن ملك ذلك الزمان[١] عزم على قتل عيسى ففرت به أمه إلى أحد هذه الأماكن التي ذكرها المفسرون"[٢].

فالمتأمل في ذلك يجد أن نبي الله عيسى (عليه السلام) وأمه كانا قد آويا إلى هذه الربوة، والسبب هو ما ذكره أهل التفسير من أن ملك ذلك الزمان عزم على قتله خوفا منه، فيذكر الحافظ ابن كثير طرفا من هذا حكاية عن وَهْب بن مُنَبّه: أَنه

---

(١) ورد في العهد الجديد في إنجيل متي في الإصحاح الثاني الفقرة الأولى، أن الملك كان اسمه هيرودس.

(٢) البحر المحيط في التفسير – أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) (٥٦٥/٧) الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.

لما خَرَّتِ الْأَصْنَامُ يَوْمَئِذٍ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا- أي يوم مولده-، وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ حَارَتْ فِي سَبَبِ ذَلِكَ حَتَّى كَشَفَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْكَبِيرُ أَمْرَ عِيسَى فَوَجَدُوهُ فِي حِجْرِ أُمِّهِ وَالْمَلَائِكَة مُحْدِقَةٌ بِهِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ نَجْمٌ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ وَأَنَّ مَلِكَ الْفُرْسِ أَشْفَقَ مِنْ ظُهُورِهِ فَسَأَلَ الْكَهَنَةَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا: هَذَا لِمَوْلِدِ عَظِيمٍ فِي الْأَرْضِ. فَبَعَثَ رُسُلَهُ وَمَعَهُمْ ذَهَبٌ وَمُرٌّ وَلِبَانٌ هَدِيَّةً إِلَى عِيسَى، فَلَمَّا قَدِمُوا الشَّامَ سَأَلَهُمْ مَلِكُهَا عَمَّا أَقْدَمَهُمْ فَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ فَإِذَا قَدْ وُلِدَ فِيهِ عِيسَى بن مَرْيَمَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَاشْتَهَرَ أَمْرُهُ بِسَبَبِ كَلَامِهِ فِي الْمَهْدِ فَأَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِ بِمَا مَعَهُمْ وأَرْسلَ مَعَهُمْ مَنْ يَعْرِفُهُ لَهُ لِيَتَوَصَّلَ إِلَى قَتْلِهِ إِذَا انْصَرَفُوا عَنْهُ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَرْيَمَ بالهدايا وَرَجَعُوا قيل لَهَا إِن رسل مَلِكِ الشَّامِ إِنَّمَا جَاءُوا لِيَقْتُلُوا وَلَدَكِ. فَاحْتَمَلَتْهُ فَذَهَبت بِهِ إِلَى مصر، فأقامت بِهِ حَتَّى بلغ عمره اثنتي عَشْرَةَ سَنَةً، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ كَرَامَاتٌ وَمُعْجِزَاتٌ فِي حَالِ صِغَرِهِ، فَذَكَرَ مِنْهَا أَنَّ الدِّهْقَانَ[1] الَّذِي نَزَلُوا عِنْدَهُ افْتَقَدَ مَالًا مِنْ دَارِهِ وَكَانَتْ دَارُهُ لَا يَسْكُنُهَا إِلَّا الْفُقَرَاءُ وَالضُّعَفَاءُ وَالْمَحَاوِيجُ، فَلم يدر من أَخذهَا، وَعَزَّ ذَلِكَ عَلَى مَرْيَمَ (عليها السلام) وَشَقَّ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى رَبِّ الْمَنْزِلِ وَأَعْيَاهُمْ أَمْرُهَا، فَلَمَّا رَأَى عِيسَى (عليه السلام) ذَلِكَ عَمَدَ إِلَى رَجُلٍ أَعْمَى وَآخَرَ مُقْعَدٍ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ هُوَ مُنْقَطِعٌ إِلَيْهِ فَقَالَ لِلْأَعْمَى: احْمِلْ هَذَا الْمُقْعَدَ وَانْهَضْ بِهِ. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ،فَقَالَ بَلَى كَمَا فَعَلْتَ أَنْتَ وَهُوَ حِينَ أَخَذْتُمَا هَذَا الْمَالَ مِنْ تِلْكَ الْكُوَّةِ مِنَ الدَّارِ. فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ صَدَّقَاهُ فِيمَا قَالَ وَأَتَيَا بِالْمَالِ فَعَظُمَ عِيسَى فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَهُوَ صَغِيرٌ جِدًّا.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ الدِّهْقَانِ عَمِلَ ضِيَافَةً لِلنَّاسِ بِسَبَبِ ظُهُورِ أَوْلَادِهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ وأَطْعَمَهُمْ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَسْقِيَهُمْ شَرَابًا يَعْنِي خَمْرًا، كَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِي ذَلِكَ

(١) الدهقان: زعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم (قصص الأنبياء – ابن كثير (٢/ ١٥٠).

الزَّمَانِ لَمْ يَجِدْ فِي جِرَارِهِ شَيْئًا فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى عِيسَى ذَلِكَ مِنْهُ قَامَ فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى تِلْكَ الْجِرَارِ وَيَمُرُّ يَدَهُ عَلَى أَفْوَاهِهَا فَلَا يَفْعَلُ بِجَرَّةٍ مِنْهَا ذَلِكَ إِلَّا امْتَلَأَتْ شَرَابًا مِنْ خِيَارِ الشَّرَابِ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ جِدًّا وَعَظَّمُوهُ وَعَرَضُوا عَلَيْهِ وَعَلَى أُمِّهِ مَالًا جَزِيلًا فَلَمْ يَقْبَلَاهُ وَارْتَحَلَا قَاصِدِينَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[1].

ويظهر من هذا أن نبي الله عيسى (عليه السلام) كان في صباه له شأن عظيم بين الناس حتى فشا أمره بين الناس، ويحكى: أنه كان يرى العجائب في صباه إلهاما من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع نبي الله عيسى (عليه السلام) فهمت به بنو إسرائيل أي بقتله، فخافت أمه عليه، فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به إلى أرض مصر فلما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا فقدم عليه يوسف ابن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما إلى إيليا وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل وعلمه التوراة وأعطاه إحياء الموتى وإبراء الأسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدومه وفزعوا لما كان يأتي من العجائب، فجعلوا يعجبون منه فدعاهم إلى الله ففشا فيهم أمره.[2]

فهذه كانت نشأة المسيح (عليه السلام)، ثم بعد ذلك كانت دعوته لبني إسرائيل، وهذا ما نتعرف عليه – بمشيئة الله تعالى – في المبحث القادم.

(١) قصص الأنبياء – لابن كثير (٢/٤١١، ٤١٢) بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق ص٤١٥، ٤١٦ بتصرف.

المبحث الثاني

دعوة نبي الله عيسى (عليه السلام) لبني إسرائيل وموقفهم منها

دعوة نبي الله عيسى (عليه السلام) لبني إسرائيل وموقفهم منها

بعد نشأة نبي الله عيسى (عليه السلام) نَزَل الوحي عليه ولم يرد خبر صحيح في تحديد السن الذي بدأ فيه نزول الوحي على نبي الله عيسى (عليه السلام) وقد حكى القرآن طرفا من نبوته وأسس دعوته التي جاء بها دون تحديد سن، ولكن قد ورد في إنجيل برنابا الفصل العاشر[1] ما يدل على أنه كان في سن الثلاثين من عمره ولم يمنع من قبوله عقل ولا نقل، وأما ما اشتهر من أن النبي يبعث على سن الأربعين فهذه ليست قاعدة مضطردة لأن نبي الله عيسى (عليه السلام) رفع في سن الثلاث والثلاثين، ونبي الله يحيى بن نبي الله زكريا (عليهما السلام) نبيء وهو صبي فقال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ [مريم: ١٢]، "قوله: (وآتيناه الحكم)، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): النبوة، صبيا، وهو ابن ثلاث سنين"[2].

---

(١) (ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرني بذلك نفسه صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتونا، وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات (يارب برحمه..) وإذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون (ليتمجد الله)، فقدم له الملاك جبريل كتابا كأنه مرآة براقة، فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به ما فعل الله وما قال الله وما يريد الله حتى أن كل شيء كان عريانا ومكشوفا له، ولقد قال لي: (صدق يا برنابا أني أعرف كل نبي وكل نبوة وكل ما أقوله إنما قد جاء من ذلك الكتاب). ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع وعلم أنه نبي مرسل إلى بيت إسرائيل كاشف مريم أمه بكل ذلك قائلا لها: أنه يترتب عليه احتمال اضطهاد عظيم لمجد الله وأنه لا يقدر فيما بعد أن يقيم معها ويخدمها. فلما سمعت مريم هذا أجابت: (يا بني إني نبئت بكل ذلك قبل أن تولد فليتمجد اسم الله القدوس). ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن أمه ليمارس وظيفته النبوية) (إنجيل برنابا ص٩، الناشر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) (٢٢٧/٣) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

فهذا يدل على بطلان ما اشتهر ولكن لانجزم بذلك والعلم عند الله،

وهذا ما أيده أبو الفتح الشهرستاني[1] في الملل والنحل، فذكر أن نبي الله عيسى (عليه السلام) قد نبيء عند سن الثلاثين، فذكر قائلا عنه: "وهو المبعوث حقا بعد موسى (عليه السلام)، المبشر به في التوراة، وكانت له آيات ظاهرة، وبينات زاهرة، ودلائل باهرة، مثل إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه، وذلك حصوله من غير نطفة سابقا، ونطقه البين من غير تعليم سالف. وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون سنة وقد أوحى الله تعالى إليه إنطاقا في المهد، وأوحى إليه إبلاغا عند الثلاثين. وكانت مدة دعوته ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام. فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه"[2].

---

(١) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: من فلاسفة الإسلام. كان إماما في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. يلقب بالأفضل. ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠هـ فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده. وتوفي بها.قال ياقوت في وصفه: (الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الإمام) من كتبه (الملل والنحل – ط) ثلاثة أجزاء، و(نهاية الإقدام في علم الكلام – خ) و(الإرشاد إلى عقائد العباد) و(تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام) و(مصارعات الفلاسفة – خ) و(تاريخ الحكماء – خ) و(المبدأ والمعاد) و(تفسير سورة يوسف) بأسلوب فلسفي و(مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار – خ) في التفسير، منه نسخة كتبت سنة ٦٦٧هـ في خزانة مجلس الشورى الوطني بطهران. يراجع خطه في مخطوطة كتابه (الملل والنحل) في الاسكوريال، مولده ووفاته (٤٧٩ – ٥٤٨هـ = ١٠٨٦ – ١١٥٣م) (الأعلام – للزركلي (٦/ ٢١٥)).

(٢) الملل والنحل– محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٢١٩/١) الناشر: دار المعرفة – بيروت، طبعة عام ١٤٠٤هـ.

❁ أسس دعوة نبي الله عيسى (عليه السلام).

إذا أردنا أن ننظر في أسس دعوة نبي الله عيسى (عليه السلام) كما بينها القرآن نجد أنه مرسل لبني إسرائيل بدعوتهم إلى التوحيد الكامل الخالص لله (جل جلاله) ونبذ الشرك بالله وتصحيح ما وقعوا فيه من التحريف والتزييف حيث أنه جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة وجاء أيضا مبشرا برسالة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) فقص علينا القرآن طرفا من ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة: ٤٦].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[الصف: ٦].

"فدعاهم نبي الله عيسى (عليه السلام) إلى التوحيد الكامل بكل شعبه التوحيد في العبادة والألوهية والتوحيد في الربوبية والتكوين والتوحيد في الذات والأسماء والصفات، فذاته ليست مركبة من أجزاء وهي منزهة عن مشابهة الحوادث (سبحانه وتعالى). فالقرآن الكريم يثبت أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد الكامل، وهذا ما يقوله الله تعالى ويقص علينا عما يكون من عيسى يوم القيامة من مجاوبة بينه وبين ربه، فيقول الله رب العالمين: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٧].

فهذا نص يفيد بصريحة أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد، فغير التوحيد إذن

دخل النصرانية من بعده، وما كان عيسى إلا رسول الله رب العالمين"[1].

وحذرهم نبي الله عيسى (عليه السلام) من الشرك بالله تعالى، وبين لهم عاقبته المخزية، وهي تحريم الجنة ودخول النار، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وأخذ يبين لهم ما وقعوا فيه من الخطأ والتحريف والتزييف في التوراة وتحليل الحرام وتحريم الحلال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٠،٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزُّخرُف: ٦٣،٦٤].

فالمتأمل في هذه الآيات يجد أنهم قد حرفوا وبدلوا وأحلوا الحرام وحرموا الحلال، لأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، فجاء عيسى مصدقا لما بين يديه من التوراة، ولكن اليهود قوم بهت فحسدوه على ما آتاه الله من فضله وقالوا هذا سحر مبين، وأيده الله بمعجزات باهرة، ودلائل ظاهرة على صدقه.

---

(١) محاضرات في النصرانية – محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) ص ١٢/ الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة: الثالثة ١٣٨١هـ – ١٩٦٦م بتصرف.

❁ معجزات نبي الله عيسى (عليه السلام)

من هذه المعجزات كما قص علينا القرآن، الكلام في المهد، تعليمه الحكمة والتوراة والإنجيل،أنه يخلق لهم من الطين على هيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، إحياء الموتى، إبراء الأكمه- أي الأعمى-، والأبرص – أي بياض في الجلد –، وإخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وكذا إيمان الحواريين به، وتأييده بروح القدس، وإنزال المائدة، فحكى القرآن طرفا من ذلك، فيقول تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٨،٤٩].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ۖ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا

﴿لَآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة من آية ١١٠: ١١٥].

"وهذه المعجزات كانت مناسبة لطبيعة قومه، كما كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان، فذكروا أن موسى (عليه السلام) كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكياء، فبعث بآيات بهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي إليه وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذي لا يمكن صدوره إلا عمن أيده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقا له، أسلموا سراعا ولم يتلعثموا، وهكذا عيسى ابن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكماء، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها، وأنى لحكيم إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالا من الأعمى، والأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره؟ هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله، وهكذا محمد (ﷺ) وعليهم أجمعين بعث في زمن الفصحاء البلغاء، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فلفظه معجز تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة، وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون لا في الحال ولا في الاستقبال، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا وما ذاك إلا لأنه كلام الخالق (عز وجل)، والله تعالى لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، والمقصود أن عيسى (عليه السلام) لما أقام عليهم الحجج والبراهين استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم، فانتدب له من بينهم طائفة صالحة فكانوا له أنصارا وأعوانا قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته، وذلك حين هم به بنو إسرائيل ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان، فعزموا على قتله وصلبه فأنقذه الله منهم ورفعه إليه من بين أظهرهم وألقى شبهه على أحد أصحابه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه عيسى وهم في ذلك

غالطون وللحق مكابرون، وسلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه، وكلا الفريقين في ذلك مخطئون"(١).

وهذا كان موقفهم من دعوته أن كفروا به وهموا بقتله إلا قلة منهم وهم الحواريون، كما قال تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤ ﴾ [آل عمران من آية٥٢: ٥٤].

وكما ذكر الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾

فيعلق صاحب تفسير المنار على هذه الآية، فيقول: "أَيْ وَاذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ حِينَ أَلْهَمْتُ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِكَ وَقَدْ كَذَّبَكَ جُمْهُورُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَجَعَلْتُهُمْ أَنْصَارًا لَكَ يُؤَيِّدُونَ حُجَّتَكَ وَيَنْشُرُونَ دَعْوَتَكَ. وَالْوَحْيُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ الْإِشَارَةُ السَّرِيعَةُ الْخَفِيَّةُ، أَوِ الْإِعْلَامُ بِالشَّيْءِ بِسُرْعَةٍ وَخَفَاءٍ كَمَا بَيَّنَاهُ مِنْ قَبْلُ، وَلَوْ وُجِدَ هَذَا التَّلِغْرَافُ فِي عَهْدِ الْعَرَبِ الْخُلَّصِ لَسَمَّوْا خَبَرَهُ وَحْيًا، وَالْمِصْرِيُّونَ يُسَمُّونَهُ حَتَّى فِي الرَّسْمِيَّاتِ إِشَارَةً، وَأُطْلِقَ الْوَحْيُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى مَا يُلْقِيهِ اللهُ تَعَالَى فِي نُفُوسِ الْأَحْيَاءِ مِنَ الْإِلْهَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا)** (النحل: ٦٨) وَقَوْلِهِ: **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ)** (القصص: ٧) وَهَكَذَا أَلْقَى اللهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ الْحَوَارِيِّينَ الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ عِيسَى (عليه السلام)، وَقِيلَ: الْوَحْيُ إِلَيْهِمْ هُوَ مَا أَنْزَلَ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ.

وَالْحَوَارِيُّونَ جَمْعُ حَوَارِيٍّ وَهُوَ مَنْ خَلُصَ لَكَ، وَأَخْلَصَ سِرًّا وَجَهْرًا فِي مَوَدَّتِكَ

(١) قصص الأنبياء – ابن كثير (٢/ ٤٣٠، ٤٣١) بتصرف يسير.

وَمَعْنَاهُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ الْأَبْيَضُ النَّقِيُّ اللَّوْنِ، وَالْحَوَارِيَّاتُ مِنَ النِّسَاءِ النَّقِيَّاتُ الْأَلْوَانِ وَالْجُلُودِ لِبَيَاضِهِنَّ قَالَ فِي اللِّسَانِ: وَالْأَعْرَابُ تُسَمِّي الْأَمْصَارَ حَوَارِيَّاتٍ لِبَيَاضِهِنَّ وَتَبَاعُدِهِنَّ مِنْ قَشَفِ الْأَعْرَابِ بِنَظَافَتِهِنَّ قَالَ:

فَقُلْتُ لِ َّ الْحَوَارِيَّاتِ مَعْطَبَةٌ ** إذا تَفَتَّلْنَ مِنْ تَحْتِ الْجَلَابِيبِ

وَأَمَّا الْحُورُ الْعَيْنُ فَهُمَا جَمْعُ حَوْرَاءَ وَعَيْنَاءَ مِنَ الْحَوَرِ (بِالتَّحْرِيكِ) وَهُوَ شِدَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ مَعَ شِدَّةِ سَوَادِهَا، فَالْحَوْرَاءُ مُؤَنَّثُ الْأَحْوَرِ، وَالْحَوَارِيَّةُ مُؤَنَّثُ الْحَوَارِيِّ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ الْحِوَارِيُّ بِمَعْنَى النَّقِيِّ الْخَالِصِ فِي غَيْرِ اللَّوْنِ، قَالَ فِي اللِّسَانِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْحَوَارِيُّونَ صَفْوَةُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ خَلَصُوا لَهُمْ. قَالَ الزَّجَّاجُ: (الْحَوَارِيُّونَ خُلْصَانُ الْأَنْبِيَاءِ (ﷺ) وَصَفْوَتُهُمْ قَالَ: وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ (ﷺ): "الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّتِي، وَحَوَارِيِّي مِنْ أُمَّتِي"أَيْ خَاصَّتِي مِنْ أَصْحَابِي وَنَاصِرِي قَالَ: وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ (ﷺ) حَوَارِيُّونَ، وَتَأْوِيلُ الْحَوَارِيِّينَ فِي اللُّغَةِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا وَنَقَوْا مَنْ كُلِّ عَيْبٍ) اهـ. وَاللُّغَةُ لَا تَدُلُّ عَلَى النَّقَاءِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ بِهَذَا التَّحْدِيدِ، وَإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى النَّقَاءِ وَالْخُلُوصِ مُطْلَقًا، فَيَكْفِي فِي صِحَّةِ الْإِطْلَاقِ أَنْ يَكُونُوا قَدْ خَلَصُوا لِنَصْرِهِ أَوْ خَلَصُوا وَنَقَوْا مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَقَدْ حَكَى اللهُ عَنْهُمْ هُنَا أَنَّهُمْ قَالُوا: آمَنَّا، أَيْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ عِيسَى (عليه السلام)، وَأَشْهَدُوا اللهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ أَيْ مُخْلِصُونَ فِي إِيمَانِهِمْ، مُذْعِنُونَ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَحَكَى عَنْهُمْ فِي سُورَتَيْ (آلِ عِمْرَانَ: ٥٢) وَ (الصَّفِّ: ١٤) أَنَّهُمْ حِينَ قَالَ الْمَسِيحُ: (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ) قَالُوا: **(نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ)**"[1].

فكانوا أي الحواريون هم أنصاره ومن آمنوا به وبدعوته وأكثر بني إسرائيل لم يؤمنوا به وهموا بقتله وصلبه، كما سنتعرف على ذلك في المبحث القادم – بإذن الله تعالى –.

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) – محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) (٢٠٧،٢٠٨/٧) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠م.

المبحث الثالث

﴿ادعاء اليهود لقتل نبي الله عيسى (عليه السلام) وصلبه وبطلان ذلك﴾

ادعاء اليهود لقتل نبي الله عيسى (عليه السلام) وصلبه وبطلان ذلك

لما هم بنو إسرائيل بقتل نبي الله عيسى (عليه السلام) ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان، فأمر بقتله وصلبه، ولكن الله نجاه منهم، فألقى شبهه على بعض حواريه، ثم رفعه الله إلى السماء، ثم ينزل في آخر الزمان، فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في خبر المسيح (عليه السلام)، وقد قص علينا القرآن طرفا من كيد اليهود به ومن كذبهم في اعتقادهم قتله، وصلبه، وأنه شُبِّه لهم، فقال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [آل عمران ٥٤،٥٥].

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء من آية ١٥٥: ١٥٩].

قال الحافظ ابن كثير: قال تعالى مخبرا عن ملأ بني إسرائيل، فيما هموا به من الفتك بعيسى (عليه السلام)، وإرادته بالسوء والصلب حين تمالئوا عليه، ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان، وكان كافرا، أن هنا رجلا يضل الناس ويصدهم عن طاعة

الملك ويفسد الرعايا، ويفرق بين الأب وابنه، إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب، وأنه ولد زنية حتى استثاروا غضب الملك، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به، فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به، نجاه الله تعالى من بينهم ورفعه من روزنة ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى، فأخذوه وأهانوه وصلبوه، ووضعوا على رأسه الشوك، وكان هذا من مكر الله بهم، فإنه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم وتركهم في ضلالهم يعمهون، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم، وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعنادا للحق ملازما لهم، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد، ولهذا قال تعالى: ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين"[1].

ثم استطرد قائلا في ذكر قصة الرفع، وأقوال المفسرين في معنى الوفاة، فقال: "اختلف المفسرون في قوله تعالى: إني متوفيك ورافعك إلي فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره إني رافعك إلي ومتوفيك، يعني بعد ذلك. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إني متوفيك، أي مميتك. وقال محمد بن إسحاق عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه، قال ابن إسحاق: والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات، ثم أحياه. وقال إسحاق بن بشر، عن إدريس عن وهب: أماته الله ثلاثة أيام، ثم بعثه، ثم رفعه. وقال مطر الوراق: إني متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت، وكذا قال ابن جرير: توفيه هو رفعه، وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا- النوم، كما قال

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) (٢/ ٣٩) الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

تعالى: {**وهو الذي يتوفاكم بالليل**} [الأنعام: ٦٠]. وقال تعالى: {**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**} [الزمر: ٤٢]، وكان رسول الله (ﷺ)، يقول إذا قام من النوم:

«الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا» الحديث، وقال تعالى: {**وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**- إلى قوله- **وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما. وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا**} [النساء: ١٥٦- ١٥٩] والضمير في قوله قبل موته عائد على عيسى (عليه السلام)، أي وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سيأتي بيانه، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم، لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، حدثنا الربيع بن أنس، عن الحسن أنه قال في قوله تعالى: إني متوفيك يعني وفاة المنام، رفعه الله في منامه."[1]

فأهل العلم متفقون أنه لم يقتل ولم يصلب، بل وقع الخلاف في تفسير معنى الوفاة، فمنهم من فسرها على التقديم والتأخير أي رافعك ثم متوفيك، ومنهم من فسر الوفاة بمعنى النوم، ومنهم من فسرها بمعنى الموت، ومنهم من فسرها بمعنى الاستيفاء كما ذكر ذلك الإمام ابن الجوزي في زاد المسير في تفسير قوله تعالى: {**إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك**} "قال ابن قتيبة: التوفي، من استيفاء العدد،

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) (٢/ ٣٩، ٤٠) الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

يقال: توفيت، واستوفيت، كما يقال: تيقنت الخبر، واستيقنته، ثم قيل للموت: وفاة، وتوف. وأنشد أبو عبيدة:

إنَّ بني الأدرد ليسوا من أحدٍ ** ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد

ولا توفاهم قريش في العدد... أي: لا تجعلهم وفاء لعددها، والوفاء: التمام. وفي هذا التوفي **قولان. أحدهما:** أنه الرفع إلى السماء. **والثاني:** أنه الموت. فعلى القول الأول يكون نظم الكلام مستقيماً من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنى «متوفيك" قابضك من الأرض وافياً تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً، هذا قول الحسن، وابن جريج، وابن قتيبة، واختاره الفراء. ومما يشهد لهذا الوجه قوله تعالى: **{فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم}** [المائدة: ١١٧]. أي: رفعتني إلى السماء من غير موت، لأنهم إنما بدلوا بعد رفعه، لا بعد موته. وعلى القول الثاني يكون في الآية تقديم وتأخير، تقديره: إني رافعك إليَّ ومطهِّرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد ذلك، هذا قول الفراء، والزجاج في آخرين. فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعَه إلى السماء لا يمنع من موته. قال سعيد بن المسيب: رُفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وقال مقاتل: رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان. وقيل عاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين. ويقال ماتت قبل رفعه"[1].

فالخلاف واقع في تفسير معنى الوفاة، ولم يكن في قضية القتل والصلب، ورجح الإمام الطبري أن الوفاة بمعنى الرفع من غير موت ولا نوم، فقال: "وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، قولُ من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض

(١) زاد المسير في علم التفسير – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) (١/ ٢٨٧) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

ورافعك إليّ، لتواتر الأخبار عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ذكَرها، اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه"(١).

وهذا ما تميل إليه النفس أن الله رفعه من غير موت، وما رجحه الحافظ ابن كثير من تفسير الوفاة بمعنى النوم ليس ببعيد أيضا، ومعتقد أهل السنة في ذلك في أنه موجود في السماء الثانية وقابله النبي (ﷺ) في رحلة المعراج، وذكر النبي (ﷺ) في الأحاديث الصحيحة أنه سينزل في آخر الزمان، فقال رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «**وَالَّذِي نفَسْي بيدِهِ، ليوُشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: "وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: **{وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}** [النساء: ١٥٩]"(٢).

وقال النبي (ﷺ) في الحديث الطويل حديث الإسراء والمعراج: "فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى، وَيَحْيَى فَقَالاَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ"(٣).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ - ٣١٠ هـ] (٦/ ٤٥٨) الناشر: مؤسسة الرسالة/ الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) صحيح البخاري- كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ- بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (عليه السلام) (٤/ ١٦٨) رقم ٣٤٤٨.

(٣) صحيح البخاري- كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ- بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ (٤/ ١٠٩) رقم ٣٢٠٧.

فكل هذا يدل أنه لم يمت بل رفعه الله إليه، وذكر الحافظ ابن كثير أيضا في صفة رفعه إلى السماء آثارا عديدة لكن العلم عند الله بصحة ذلك،ولكن أذكر واحدا من هذه الآثار وهو أصحها وأقواها كما رجح هذا، فقال: "هذا ذكر ما ورد في الآثار في صفة رفعه إلى السماء: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا منهم من الحواريين، يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثنى عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنا فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا. فقال: أنت هو ذاك. فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء. قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنى عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء.

وهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه.

وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا (ﷺ).

قال ابن عباس: وذلك قوله تعالى: "**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**" وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم....، وهكذا ذكر غير واحد من السلف وممن ذكر ذلك مطولا محمد ابن إسحق بن يسار قال:

وجعل عيسى (عليه السلام) يدعو الله (عز وجل) أن يؤخر أجله، يعني ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله، قيل: وكان عنده من الحواريين اثنا عشر رجلا: بطرس ويعقوب بن زبدا ويحنس أخو يعقوب، وأندراوس، وفليبس، وأبرثلما، ومتى، وتوماس، ويعقوب بن حلقيا، وتداوس وفتاتيا، ويودس كريايوطا، وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى.

قال ابن إسحق: وكان فيهم رجل آخر اسمه سرجس كتمته النصارى وهو الذي ألقي شبه المسيح عليه فصلب عنه.

قال: وبعض النصارى يزعم أن الذي صلب عن المسيح وألقي عليه شبهه هو يودس بن كريايوطا والله أعلم.

وقال الضحاك عن ابن عباس استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذي ألقي عليه الشبه."[1].

فهذا ما ذكر في صفة رفعه، والإسرائيليات مليئة بذلك، ولكن لا فائدة من ذكرها، ففيما ذكر الكفاية والعلم عند الله.

ويطيب لي أن أذكر معتقد النصارى في قضية القتل والصلب من كتبهم وأنهم يؤمنون بأن عيسى (عليه السلام) قد قتله اليهود وصلبوه، فقد ذكرت الأناجيل الأربعة قصة القتل والصلب على خلاف وتناقض في بعض الأمور لكن في الجملة متفقون على أن عيسى (عليه السلام) قد قتله اليهود وصلبوه، فأذكر ما أورده صاحب إنجيل متى في الإصحاح السابع والعشرين من الفقرة (٢٧-٣٩): "فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة، فعروه وألبسوه رداء قرمزياً. وضفروا له إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه وكانوا يجثون

(١) قصص الأنبياء – ابن كثير (٢/ ٤٥١، ٤٥٢).

قدامه ويستهزئون به قائلين السلام عليك يا ملك اليهود، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه، وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب. وفيما هم خارجون وجودا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه ولما أتوا إلى موضع يقال له جلجثة وهو المسمي موضع الجمجمة. أعطوه خلا ممزوجاً بمرارة ليشرب. ولما ذاق لم يرد أن يشرب. ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها، لكي يتم ما قيل بالنبي اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة. ثم جلسوا يحرسونه هناك، وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود، حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار"[1].

فالناظر في هذا النقل يجد الإهانة والعذاب لنبي الله عيسى (عليه السلام) ثم يجد أنهم يعتقدون أنه هو المصلوب لا غيره ولا شبه له بل هو المصلوب، وكذلك يعتقدون أنه مات بعد صلبه،ففي الفقرة من (٤٥-٥٠) من إنجيل متى في الإصحاح السابع والعشرين أيضا، يقول: "من الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة: ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني. فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا إنه ينادي إيليا، وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجة وملأها خلاً وجعلها على قصبة وسقاه. وأما الباقون فقالوا اترك، لنري هل يأتي إيليا يخلصه، فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح"[2].

وكذلك المتأمل يجد العذاب الشديد الذي لاقاه المسيح (عليه السلام) في صلبه وهو يصرخ ويستغيث بالله،- والسؤال لأصحاب هذا المعتقد،كيف يكون هو ابن الله كما يزعمون، ثم يتركه أبوه معذبا ولم يخلصه من هذا العذاب؟!!!! تعالى الله عما

(١) الكتاب المقدس – العهد الجديد (ص ٢٨، ٢٩).

(٢) السابق (ص ٢٩).

يقولون علوا كبيرا –، ثم المتأمل في النقل أيضا يجد أن المسيح (عليه السلام) قد مات وأسلم الروح، وكل هذا باطل مدحوض بالأدلة كما مر سابقا في بداية المبحث.

ولكن ما ينبغي أن يُعلم أن اليهود دائما قتلة للأنبياء وسفكة لدماء الأبرياء، ومقطعة للأشلاء ومحرفة لكلام رب الأرض والسماء وبعد هذا يدعون أنهم حاملي راية حقوق البشرية جمعاء، فكيف هذا وهم ينظرون للبشرية كلها بالدونية والازدراء، ويقولون أنهم الشعب المختار والأحباء لرب الأرض والسماء، أفلا يعد هذا استخفاف بالعقلاء؟!!!!.

وبعد تدبير المكائد لنبي الله عيسى (عليه السلام) من هؤلاء اليهود، ونجاة الله له ورفعه إلى السماء، وافق بعض النصارى اليهود في أنه قد قتل وصلب، واختلفوا في شخصيته على ما سيأتي – بمشيئته جل وعلا – في المبحث القادم.

المبحث الرابع

ادعاء النصارى ألوهية المسيح (عليه السلام) وبنوته بعد رفعه وبيان بطلان ذلك

ادعاء النصارى ألوهية المسيح (عليه السلام) وبنوته بعد رفعه و بيان بطلان ذلك

اختلاف أهل الكتاب حول شخصية نبي الله عيسى (عليه السلام):

فقص علينا القرآن طرفًا من هذا النزاع فقال تعالى: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩ ﴾ [مريم ٣٩: ٣٧].

قال الإمام أبو السعود في تفسيره: "قوله: {**فاختلف الأحزاب مِن بَيْنَهُمْ**} لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيهاً على سوء صنيعِهم بجعلهم ما يوجب الاتفاقَ منشأً للاختلاف فإن ما حُكي من مقالات عيسى (عليه السلام) مع كونها نصوصاً قاطعةً في كونه عبدَه تعالى ورسولَه قد اختلفت اليهودُ والنصارى بالتفريط والإفراط أو فرق النصارى فقالت النُّسطوريةُ هو ابنُ الله وقالت اليعقوبيةُ هو الله هبط إلى الأرض ثم صعِدَ إلى السماء تعالى عن ذلكَ عُلواً كبيراً وقالت الملكانية هو عبدُ الله ونبيُّه {**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ**} وهم المختلفون عبّر عنهم بالموصول إيذاناً بكفرهم جميعاً وإشعاراً بعلة الحُكم {مِن مَّشْهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} أي من شهود يومٍ عظيمِ الهول والحساب والجزاء وهو يومُ القيامة أو من وقت شهودِه أو من مكان الشهود فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن يشهد عليهم الملائكةُ والأنبياءُ (عليهم السلام) وألسنتُهم وآذانُهم وأيديهم وأرجلُهم وسائرُ آرابِهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شِهدوا به في حق عيسى وأمِّه (عليهما السلام) {**أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ**} تعجّبٌ من حِدّة سمعِهم وأبصارِهم يومئذ ومعناه أن أسماعَهم وأبصارهم {**يَوْمَ يَأْتُونَنَا**} للحساب والجزاء أي يوم القيامة جديرٌ بأن يُتعجَّب منها بعد أن كانوا في الدنيا صُمًّا عُمياً أو تهديدٌ بما سيسمعون ويُبصرون يومئذ وقيل أُمر بأن يُسمِعَهم

ويُبصرهم مواعيدَ ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الأول في موقع الرفعِ وعلى الثاني في حيز النصب **{لكن الظالمون اليوم}** أي في الدنيا **{فِى ضلال مُّبِينٍ}** لا تُدرك غايتُه حيث أغفلوا الاستماعَ والنظرَ بالكلية ووضعُ الظالمين موضعَ الضمير للإيذان بأنهم في ذلك ظالمون لأنفسهم"[1].

فالمتأمل في هذا يجد أنهم اختلفوا فمنهم المفرط وهم القائلون بأنه ولد زنا أعاذه الله من ذلك وهم اليهود، ومنهم المغالي فمن قائل منهم أنه ابن الله ومنهم من قال أنه الله، ومنهم من قال أنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ومنهم من قال أنه ثالث ثلاثة كما ذكر ذلك بعض المفسرين.

فقال الإمام ابن عطية معلقا على هذه الآية أيضا: "هذا ابتداء خبر من الله تعالى لمحمد (ﷺ) بأن بني إسرائيل اختلفوا أحزابا أي فرقا، وقوله مِنْ بَيْنِهِمْ معناه أن الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا المختلفين. وروي في هذا عن قتادة أن بني إسرائيل جمعوا من أنفسهم أربعة أحبار غاية في المكانة والجلالة عندهم وطلبوهم بأن يبينوا أمر عيسى فقال أحدهم: عيسى هو الله نزل إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات ثم صعد، فقال له الثلاثة كذبت واتبعه اليعقوبية، ثم قيل للثلاثة فقال أحدهم: عيسى ابن الله فقال له الاثنان كذبت واتبعه النسطورية، ثم قيل للاثنين فقال أحدهم عيسى أحد ثلاثة: الله إله، ومريم إله، وعيسى إله، فقال له الرابع كذبت واتبعه الإسرائيلية، فقيل للرابع فقال عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم فاتبع كل واحد من الأربعة فريق من بني إسرائيل ثم اقتتلوا فغلب المؤمنون وقتلوا وظهرت اليعقوبية على الجميع. وروي أن في ذلك نزلت: **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ**

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) (٢٦٦/٥) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [آل عمران: ٢١]"[(١)].

والمتأمل في هذا النقل يجد أنه يضيف زعما آخر في نبي الله عيسى (عليه السلام) وأمه، فيعتقدون أنه: ثالث ثلاثة آلهة، وأمه كذلك، أي هو إلاه وأمه إلاه، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وذكر الإمام الشهرستاني في الملل والنحل طرفا من اختلافهم، فقال: "فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه وإنما اختلافاتهم تعود إلى أمرين:

أحدهما: كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة.

والثاني: كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة.

أما الأول: فإنهم قضوا بتجسد الكلمة ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد كلام:

فمنهم من قال: أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف.

ومنهم من قال: انطبع فيه انطباع النقش في الشمع.

ومنهم من قال: ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني.

ومنهم من قال: تدرع اللاهوت بالناسوت.

ومنهم من قال: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء والماء اللبن وأثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة قالوا: الباري تعالى جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس لا التحيز والحجمية فهو واحد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية.

ويعنون بالأقانيم: الصفات كالوجود والحياة والعلم وسموها الأب والابن وروح القدس.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز– أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) (١٦/٤) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

وإنما العلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم.

وقالوا في الصعود: إنه قتل وصلب قتله اليهود حسدا وبغيا وإنكارا لنبوته ودرجته ولكن القتل ما ورد على الجزء اللاهوتي وإنما ورد على الجزء الناسوتي.

قالوا: وكمال الشخص الإنساني في ثلاثة أشياء: نبوة وإمامة وملكة.

وغيره من الأنبياء كانوا موصوفين بهذه الصفات الثلاثة أو ببعضها والمسيح (عليه السلام) درجته فوق ذلك لأنه الابن الوحيد فلا نظير له ولا قياس له إلى غيره من الأنبياء وهو الذي به غفرت زلة آدم (عليه السلام) وهو الذي يحاسب الخلق.

ولهم في النزول اختلاف:

فمنهم من يقول: ينزل قبل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام.

ومنهم من يقول: لا نزول له إلا يوم الحساب وهو بعد أن قتل وصلب نزل ورأى شخصه شمعون الصفا وكلمه وأوصى إليه ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء فكان وصية شمعون الصفا وهو أفضل الحواريين علما وزهدا وأدبا غير أن فولوس شوش أمره وصير نفسه شريكا له وغير أوضاع كلامه وخلطه بكلام الفلاسفة ووساوس خاطره

ورأيت رسالة فولوس التي كتبها إلى اليونانيين: إنكم تظنون أن مكان عيسى (عليه السلام) كمكان سائر الأنبياء وليس كذلك بل إنما مثله مثل ملكيز داق وهو ملك السلام الذي كان إبراهيم (عليه السلام) يعطي إليه العشور وكان يبارك على إبراهيم ويمسح رأسه.

ومن العجب أنه نقل في الأناجيل أن الرب تعالى قال: إنك أنت الابن الوحيد ومن كان وحيدا كيف يمثل بواحد من البشر.

ثم إن أربعة من الحواريين اجتمعوا وجمع كل واحد منهم جمعا سماه الإنجيل وهم: متى ولوقا ومرقس ويوحنا.

وخاتمة إنجيل متى أنه قال: إني أرسلكم إلى الأمم كما أرسلني أبي إليكم فاذهبوا وادعوا الأمم باسم الأب والابن وروح القدس.

وفاتحة إنجيل يوحنا: على القديم الأزلي كانت الكلمة وهو ذا الكلمة كانت عند الله والله هو كان الكلمة وكل كان بيده.

ثم افترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلاثة: الملكانية والنسطورية واليعقوبية وانشعبت منها: الأليانية والبليارسية والمقدانوسية والسبالية والبوطينوسية والبولية إلى سائر الفرق"[١].

وأذكر بعض الفقرات أيضا عند أصحاب الأناجيل التي تدلل على معتقدهم أنه ابن الله، وأنه الله، ففي إنجيل متى في الإصحاح السابع والعشرين من الفقرة (٥١- ٥٥)، يقول: "فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين. وخرجوا من القبور... وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جداً وقالوا حقًّا: كان هذا ابن الله".[٢]

وفي فاتحة إنجيل مرقس "بدأ إنجيل يسوع المسح ابن الله"[٣].

وفي إنجيل لوقا في الإصحاح الثالث والعشرين من الفقرة (٣٣ – ٣٤): "ولما مضوا به إلى الموضع الذي يُدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين، واحداً عن يمينه والآخر عن يساره فقال يسوع: يا أبتاه اغفر لهم؛ لأنهم لا يعلمون ماذا

(١) الملل والنحل – للشهرستاني (٢١٩/١).

(٢) الكتاب المقدس – العهد الجديد (ص٢٩).

(٣) السابق (ص٣٠).

يفعلون"[1].

وفي فاتحة إنجيل يوحنا قال: "في البدء كان الكلمة، و الكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان،... والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقًّا "وفي يوحنا أيضا، الإصحاح الثامن، الفقرة (٢٩) يقول المسيح: "والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه".

وفي يوحنا في الإصحاح السادس عشر، الفقرة (٣٢) "هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي. وأنا لست وحدي؛ لأن الآب معي"[2].

وهذه النقول المتأمل فيها يجد إثبات البنوة للمسيح وكذلك أيضا يجد إثبات الألوهية كما في فاتحة إنجيل يوحنا أنه جعل الكلمة هي عين عيسى مما يعني أن عيسى هو الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وهذه الآراء حول شخصية نبي الله عيسى(عليه السلام) كذبها القرآن ورد عليهم بقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ

---

(١) الكتاب المقدس – العهد الجديد (ص٧٨).

(٢) السابق (ص٨٠، ٨٩، ٩٨).

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: "وهذا أيضًا خبر من الله تعالى ذكره عن فريق آخر من الإسرائيليين الذين وصف صفتهم في الآيات قبل: أنه لما ابتلاهم بعد حِسْبَانهم أنهم لا يُبتلون ولا يفتنون، قالوا كفرًا بربهم وشركًا: "الله ثالث ثلاثة". وهذا قولٌ كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق اليعقوبية والملكية والنَّسطورية. كانوا فيما بلغنا يقولون: "الإله القديم جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم: أبًا والدًا غير مولود، وابنًا مولودًا غير والد، وزوجًا متتبَّعة بينهما".

يقول الله تعالى ذكره، مكذِّبًا لهم فيما قالوا من ذلك: "وما من إله إلا إله واحد"، يقول: ما لكم معبود، أيها الناس، إلا معبود واحد، وهو الذي ليس بوالد لشيء ولا مولود، بل هو خالق كل والد ومولود،"وإن لم ينتهوا عما يقولون"، يقول: إن لم ينتهوا قائلو هذه المقالة عما يقولون من قولهم: "الله ثالث ثلاثة""ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم"، يقول: ليمسن الذين يقولون هذه المقالة، والذين يقولون المقالة الأخرى: "هو المسيح ابن مريم"، لأن الفريقين كلاهما كفرة مشركون، فلذلك رجع في الوعيد بالعذاب إلى العموم، ولم يقل: "ليمسنَّهم عذابٌ أليم"، لأن ذلك لو قيل كذلك، صار الوعيد من الله تعالى ذكره خاصًّا لقائل القول الثاني، وهم القائلون: "الله ثالث ثلاثة"، ولم يدخل فيهم القائلون: "المسيح هو الله". فعمّ بالوعيد تعالى ذكره كلَّ كافر، ليعلم المخاطبون بهذه الآيات أنّ وعيد الله قد شمل كلا الفريقين من بني إسرائيل، ومن كان من الكفار على مثل الذي هم عليه.

فإن قال قائل: وإن كان الأمر على ما وصفت، فعلى مَنْ عادت"الهاء والميم"اللتان في قوله: "منهم"؟ قيل: على بني إسرائيل. فتأويل الكلام، إذْ كان الأمر على ما وصفنا: وإن لم ينته هؤلاء الإسرائيليون عما يقولون في الله من

عظيم القول، ليمسنَّ الذين يقولون منهم: "إن المسيح هو الله"، والذين يقولون: "إن الله ثالث ثلاثة"، وكل كافر سلك سبيلهم عذابٌ أليم، بكفرهم بالله."[1]

فهذه الآيات تبين بصراحة أنه من ادعى ألوهية المسيح أو بنوته لله أو أنه ثالث ثلاثة فقد كفر بالله وأشرك معه غيره.

وإذا أردنا أن نناقشهم فيما ادعوه فنذكر بعض مناقشة أهل العلم لهم مما ذكره الدكتور أحمد غلوش، فقال: "أثارت ولادة عيسى (عليه السلام) من غير أب أفكارا، جعلت أتباعه يقولون: إن عيسى ابن الله، صار جزءا من ذاته سبحاته وتعالى، ويرون أن المسيح والله اجتمعا في ذات واحدة، وصارا طبيعة واحدة، ويزعمون اتحاد الناس واللاهوت في ذات خاصة، هي الله تعالى.

وإني هنا أورد ما قاله النصارى، وأناقشهم في قولهم، بالدليل والبرهان.

أولا: المسيح ابن الله

يقول النصارى إن المسيح ابن الله تعالى؛ لأنه خلق من غير أب، فالله أبوه، وهو ابنه.

وهذا كلام لا يصح؛ لأن ولادة عيسى (عليه السلام) من غير أب، معجزة إلهية داخلة في إطار قدرة الله تعالى، فهو (سبحانه وتعالى) خلق حواء بلا أم، وخلق آدم بلا أب، ولا أم، ولم يثبت أحد لهما بنوة الله تعالى، فقدرة الله عامة، وإذا أراد شيئا قال له: كن فيكون.

وقد أثار وفد نصارى نجران هذه المقالة مع رسول الله (ﷺ) إذ قالوا لرسول الله (ﷺ): ما لك تشتم صاحبنا؟

فقال لهم (ﷺ): "وما أقول؟ "قالوا: تقول إنه عبد الله.

---

(١) تفسير الطبري، (١٠/٤٨١: ٤٨٣).

قال لهم (ﷺ): "أجل، إنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء، البتول". فغضبوا، وقالوا: هل رأيت إنسانا قط بلا أب؟! فإن كنت صادقا فأرنا مثله، فأنزل الله قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران آية"٥٩"].

وواضح من الآية أن الآية قد ردت عليهم؛ لأننا لو قلنا ببنوة عيسى لله لعدم وجود الأب، فالواجب الأولى أن يكون آدم ابن الله، ولم يقل به أحد؟! ثم ما هو المانع أن يخلق الله إنسانا من دم امرأة فقط، وقد خلق إنسانا من تراب جامد؟!".(١)

فهذه مناقشة هادئة في قولهم أنه ابن الله لقولهم خلق من غير أب، فكان آدم (عليه السلام) أولى بهذا، ثم استطرد قائلا في الرد عليهم لما قالوه:

"**ثانيا:** كلمة الله:

يقول النصارى إن المسيح كلمة الله تعالى كما جاء في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [آل عمران آية ٤٥] إلا أنهم يقولون إن الكلمة جزء من الذات الإلهية، ولهم تصوراتهم في التقاء كلمة الله بجسد الإنسان، حيث اتحدا في ذات واحدة.

وهذا كلام لا يصح؛ لأن الله قديم بذاته، وصفاته، وأفعاله، وليس مركبا من أجزاء، ولا ينقسم إلى أجزاء، وكلامهم في اتحاد اللاهوت بالناسوت، قائم على التركيب، والأجزاء، وهذا لا يليق بالله تعالى، وأيضا فإن الكلمة التي حملها جبريل هي"كن"فكان (عليه السلام).

---

(١) دعوة الرسل (عليهم السلام)، أ.د/ أحمد أحمد غلوش، ص٤٧٥، ٤٧٦ الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

ثالثا: عيسى روح الله

يقول النصارى إن المسيح روح الله، لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ ﴾ [النساء آية: ١٧١] ويريدون بالروح جزءا من الله تعالى. وهذا كلام لا يصح؛ لأن الروح تعني النفخة التي نفخها جبريل بأمر الله تعالى في درع مريم، وتأتي بمعنى رحمة الله، وأضيفت الروح إلى الله للتشريف والتكريم.

وعلى الجملة فإن الله إله واحد، والمسيح رسول الله، وأمه صديقة عذراء، يقول تعالى: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ ﴾ [المائدة آية: ٧٥]"[(١)].

وبهذا يكون قد اتضحت شخصية المسيح (عليه السلام) بما ذكره القرآن بأنه عبد الله ورسوله وروح منه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

ونذكر ايضا استئناسا: بعض الفقرات من الكتاب المقدس الذي بين أيدي النصارى الآن التي تدلل على أن المسيح (عليه السلام) مرسل من عند ربه وأنه عبد الله ورسوله:

"**جاء في إنجيل متى الإصحاح العاشر، فقرة ٤٠:** (من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني).

---

(١) دعوة الرسل (عليهم السلام)، أ.د/ أحمد أحمد غلوش ص٤٧٧.

وجاء في إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس، في فقرة ٢٤: (الحق الحق أقول لكم، إن من يسمع كلامي، ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية).

وفي فقرة ٣٠: (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا كما أسمع أدين و دينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني).

وفي فقرة ٣٦: (و أما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني، والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي).

جاء في إنجيل يوحنا، الإصحاح السابع، فقرة ٢٨: (فنادى يسوع، وهو يُعَلِّم في الهيكل قائلا: تعرفونني، وتعرفون من أين أنا، ومن نفسي لم آت، بل الذي أرسلني هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه، أنا أعرفه، وهو أرسلني.

وجاء في إنجيل يوحنا، الإصحاح السابع عشر، فقرة ٣: أن المسيح (عليه السلام) توجه ببصره نحو السماء قائلاً لله: (وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)"[(١)].

فهذه النصوص من الأناجيل تشهد ببشرية المسيح، وأنه رسول الله تعالى إلى بني إسرائيل، فليس هو الله كما زعمت اليعقوبية، وليس هو ابن الله كما زعمت النسطورية، وليس ثالث ثلاثة كما زعمت الإسرائيلية، ولكنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فمن آمن بهذا وشهد بذلك، وشهد أن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وشهد أن محمدا عبده ورسوله، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، ومن لم يؤمن بذلك فقد كفر بربه وأشرك معه غيره وكان من أصحاب النار، كما أخبر بذلك رب العالمين، وكذلك

(١) الكتاب المقدس – العهد الجديد ص٩، ٨٥، ٨٨، ٩٨ – الناشر دار الكتاب المقدس بمصر: الإصدار الرابع /الطبعة السابعة ٢٠١١م.

النبي الأمين محمد (ﷺ) فقد ورد في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، عَنْ عُبَادَةَ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» قَالَ الوَلِيدُ، حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ، عَنْ عُمَيْرٍ، عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ"[1].

وجاء في صحيح الإمام مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[2].

فهذا هو المعتقد الذي به النجاة، فنسأل الله الثبات على الإيمان حتى نلقى النبي العدنان، في أعالي الجنان، متنعمين بمجاورته ورؤية الرحمان، فذلك هو أكبر الرضوان، من ربنا المنان، اللهم آمين اللهم آمين اللهم آمين.

وبهذا أكون قد انتهيت من هذا المبحث وبه يتم ختام هذا البحث وأسأل الله أن يجعل فيه القبول وأن ينفعني به والمسلمين إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير فهو نعم المولى ونعم النصير.

هذا وإني لا أدَّعي الكمال فيما أديت من عمل، وما قمت به من دراسة، فهذا هو جهد المقل، وما بَلَغه عقلي، ووسعته طاقتي، فإن كنت قد وفقت وأصبت فهو فضل من الله أَوْلَانِيه، وكرم منه أسبغه عليّ، فله الحمد والمنة، وإن كنت قد زللت

---

(١) صحيح البخاري- كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ- بَابُ قَوْلِهِ: {**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**} (٤/ ١٦٥) رقم ٣٤٣٥.

(٢) صحيح مسلم – كِتَابُ الْإِيمَانَ- باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام (١/ ١٣٤) رقم ١٥٣.

أو أخطأت فإن التقصير من نفسي ومن الشيطان، وفضل الله يتسع بإذنه لما وقعت فيه من خطأ غير مقصود، وحسبي أني ما قصدته، وحسبي أني بشر، فمَنِ الذي ما أساء قط ومن له الحسنى فقط، فالكمال لله وحده، فرحمة الله وسعت كل شيء، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وصلي اللهم على سيد الأولين والآخرين، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات

الخاتمة

بعد سياحة فكرية في بحثي هذا – الذي أسال الله النفع به – أستطيع استخلاص ما يلي:

أولا: إثبات الكرامات الخارقة للعادة للأولياء والمعجزات للأنبياء، وذلك لإظهار مكانتهم وفضلهم وحثا على تصديقهم عند أممهم وبني زمانهم.

ثانيا: الصراع بين الحق والباطل أمر قائم إلى قيام الساعة.

ثالثا: نبي الله عيسى (عليه السلام) لم يقتل ولم يصلب، بل رفعه الله إليه وهو حي في السماء الثانية كما ثبت ذلك في حديث المعراج، وسوف ينزل في آخر الزمان حكما عدلا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

رابعا: لايزال إلى الآن في الكتاب المقدس الذي بين يدي أهل الكتاب ما يدل على أن عيسى(عليه السلام) مرسل من عند ربه، وأنه عبد الله ورسوله.

خامسا: نبي الله عيسى (عليه السلام) وأمه كان بين طرفي نقيض عند اليهود والنصارى، فجفا قوم في حقهما حتى وصفوا أمه بأنها زانية وأنه ولد زنا، وغلا آخرون حتى وصفوهما بالألوهية ووصفوه أيضا بالبنوة، وهذا مغاير تماما للمعتقد السليم.

سادسا: يحذر البحث من الغلو في الدين، وأن الغلو في الدين سبب للشطط والبعد عن الطريق المستقيم والمنهج القويم وسبب للوقوع في المخالفات الشرعية بل قد يصل بالإنسان إلى الكفر، وهو يحسب أنه يحسن صنعا، وهذا ما فعله النصارى مع نبي الله عيسى(عليه السلام) حيث وصفوه بأنه ابن الله، ولذلك نهاهم الله تعالى، فقال:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ

عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾ [النساء: ١٧١].

وفي نهاية بحثي أوصي بالآتي:

١- وجوب الدعوة إلى التوحيد الخالص لله (ﷻ) وعدم الشرك به (ﷻ).

٢- أوصي بعمل لقاءات دعوية بين علماء الدين الإسلامي المتخصصين وبين رجال الدين المسيحي ودعوتهم بالحسنى وتبيين المعتقد الصحيح من خلال لقاءات منظمة من قبل المؤسسات الرسمية.

٣- أوصي بطباعة الأبحاث المحكمة التي تنشر في الحوليات والكليات التابعة لجامعة الأزهر الشريف ونشرها في معارض الكتب الدولية؛ وكذلك نشرها على وسائل التواصل الاجتماعي ليستفيد منها طلاب العلم قاطبة في أنحاء المعمورة.

٤- أوصي بتدريس مادة مقارنة الأديان في جميع الكليات التي يتعين منها الوعاظ والأئمة والخطباء ليقفوا على حقائق مهمة يستفيدوا منها في الواقع الدعوي المعاصر، ولا يكون هذا مخصوصا بقطاع أصول الدين فقط.

٥- أوصي نفسي وجميع إخواني الدعاة بالحرص على طلب العلم الشرعي والثقافي الذي يجعلنا نقف سدا منيعا في مواجهة الشبهات التي تثار حول الإسلام والرد عليها بأسلوب علمي رصين.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم جل من أنزله

ثانيا: الكتب المرجعية

١) الأعلام – خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.

٢) إنجيل برنابا، الناشر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية.

٣) البحر المحيط في التفسير– أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم– أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) – محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠م.

٦) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

٧) جامع البيان في تأويل القرآن– محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ –٣١٠هـ] الناشر: مؤسسة الرسالة/ الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٨) دعوة الرسل (ﷺ)، أ.د/ أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة / الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

٩) زاد المسير في علم التفسير– جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.
١٠) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم– نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
١١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان– محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) / الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
١٢) صحيح الإمام البخاري– محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي– الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٣) صحيح الإمام مسلم– الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٤) غريب الحديث – أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م).
١٥) قصص الأنبياء– أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) – الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة– الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
١٦) الكتاب المقدس – العهد الجديد، الناشر دار الكتاب المقدس بمصر: الإصدار الرابع / الطبعة السابعة٢٠١١م.
١٧) لسان العرب– محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.
١٨) محاضرات في النصرانية – محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة: الثالثة

١٣٨١هـ - ١٩٦٦م.
١٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
٢٠) مختار الصحاح- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢١) المستفاد من قصص القرآن- د/عبد الكريم زيدان / الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
٢٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(المتوفى: ٥١٠هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٣) معجم اللغة العربية المعاصرة- د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٤) المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
٢٥) معجم لغة الفقهاء- محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٦) معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٧) الملل والنحل- محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهر ستاني- الناشر: دار المعرفة - بيروت، طبعة عام ١٤٠٤هـ.
٢٨) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٣١١
التمهيد	٢٣١٥
المبحث الأول: التأصيل التاريخي لنسب نبي الله عيسى (عليه السلام) وولادته ونشأته	٢٣٢٣
ولادة نبي الله عيسى (عليه السلام)	٢٣٣١
نشأة نبي الله عيسى (عليه السلام)	٢٣٣٤
المبحث الثاني: دعوة نبي الله عيسى (عليه السلام) لبني إسرائيل وموقفهم منها	٢٣٣٧
أسس دعوة نبي الله عيسى (عليه السلام)	٢٣٤١
معجزات نبي الله عيسى (عليه السلام)	٢٣٤٣
المبحث الثالث: ادعاء اليهود لقتل نبي الله عيسى (عليه السلام) وصلبه وبطلان ذلك	٢٣٤٧
المبحث الرابع: ادعاء النصارى ألوهية المسيح (عليه السلام) وبنوته بعد رفعه وبيان بطلان ذلك	٢٣٥٩
اختلاف أهل الكتاب حول شخصية نبي الله عيسى (عليه السلام)	٢٣٦١
الخاتمة	٢٣٧٥
قائمة المصادر والمراجع	٢٣٧٩
فهرس الموضوعات	٢٣٨٢